(ISSN: 2959-5436) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (SUJHUS)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الرابع للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 7-8 نيسان 2025 (القسم الاول), الصفحات 1-24

الاعجاز البياني في فكر الدكتور عودة الله القيسي

أ.م.د. احمد حنون ميس [1]*

فاطمة عبد الرضا شاطي[2]*

باسم علي حسين[3]*

[1]الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، العراق

[2]وزارة الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، بغداد، العراق

[3]وزارة التربية، المديرية العامة لتربية الكرخ الاولى، بغداد، العراق

الملخص:

يتناول هذا البحث رؤية الدكتور عودة الله القيسي في بيان وجه الاعجاز البياني في النصوص القرآنية عن طريق المستوى النحوي والآيات المتباعدة في اهم مؤلفاته وهو (سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة، والاعجاز اللغوي في القران، والاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام) وقد تعرض البحث للمسائل النحوية مثل التقديم والتأخير والحذف والمبني للمجهول والتشابه والاختلاف في النصوص القرآنية ورؤية الدكتور القيسي في بيان وجه الاعجاز فيها مخالفاً من سبقه في بيان اللطائف والمعاني الدقيقة للألفاظ المستعملة في السياق القرآني وان الالفاظ وان كانت مشتقة من اصل لغوي واحد الا انها لا تسد مسد الاخرى في سياقها.

الكلمات المفتاحية: الاعجاز، البيان، القيسي.

The rhetorical miracle in the thought of Dr. Awda Allah Al-Qaisi

Asst. Professor. Dr. Ahmed Hanoun Mays[1*]

Fatima Abdul-Ridha Shati[2*]

Basem Ali Hussein[3*]

[1]Al-Mustansiriya University, College of Education, Baghdad, Iraq

[2]Ministry of Education, Al-Mustansiriya University, College of Arts, Baghdad, Iraq

3. Ministry of Education, General Directorate of Education in Karkh I, Baghdad, Iraq

Abstract:

The This research deals with Dr. Awda Allah Al-Qaisi's vision in explaining the aspect of rhetorical miracle in the Quranic texts through the grammatical level and the distant verses in his most important works, which are (The Secret of Miracle in the Diversity of Derivative Forms, the Linguistic Miracle in the Quran, and the Linguistic Miracle in the Stories of Noah, peace be upon him). The research dealt with grammatical issues such as presentation, delay, deletion, the passive voice, similarity and difference in the Quranic texts and Dr. Al-Qaisi's vision in explaining the aspect of miracle in them, differing from his predecessors in explaining the subtleties and precise meanings of the words used in the Quranic context, and that

* **Email address: dr.alatabi@uomustansiriyah.edu.iq**

the words, although they are derived from one linguistic origin, do not replace the other in their context.

Keywords: Al-Qaisi, miracle, word, meaning.

المقدمة:

الحمد لله المعطي، ذو النعمة والإحسان الدائم، خالق الإنسان، وخالق الأكوان، الذي جعل كتابه معجزة على مر العصور، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير البشر، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الكرام وعلى من سار على نهجه الى يوم الدين.

أما بعد:

القرآن الكريم هو أعظم معجزة تحدى الله تعالى بها الإنس والجن قال تعالى: (قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[1].

وبقي العجز والتحدي بعد أن انهار أمامه البلاغيون وغرقوا في بحر بلاغته، فهو بحر لا تدرك أعماقه، ولا تنتهي عجائبه، ولا تنضب دُرره، ولذلك كلما وقف العلماء على جانب معين منه تنفتح لهم جوانب كثيرة، وتتبين لهم وجوه كثيرة لإعجاز القرآن، ويعتبر الإعجاز البياني من أبرز هذه الوجوه لأنه يظهر في جميع سور القرآن، والعلماء الذين بحثوا في مسألة الإعجاز البياني كثيرون، وهم ليسوا بالقليل، ولكل عصر رجاله، وواحد من رجال هذا العصر هو الدكتور عودة الله القيسي (ت:1442هـ)، ولذلك قررت بيان رؤية الدكتور عودة الله القيسي للأعجاز البياني في النصوص القرآنية في مؤلفاته ومن ابرزها (سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة، والاعجاز اللغوي في القرآن الكريم) إذ تحوي على كنوز العلم والمعرفة ، والدرر التوضيحية الرائعة والتحف، التي توحي بالعلم الذي تذخر به.

اسباب اختيار الموضوع:

1_ الرغبة في معرفة وجوه الاعجاز البياني في القران الكريم وخاصة عند الدكتور عودة الله القيسي.

2_ تجنب بعض الباحثين في علوم القرآن الخوض في مثل هذا النوع من الدراسات لأن ذلك يتطلب معرفته بالبلاغة والنحو.

3_ اسلوب الدكتور عودة الله القيسي المميز في بيانه لوجه الاعجاز وتحليله للألفاظ في ضوء النصوص القرآنية.

4_ خدمة كتاب الله تعالى وهذا العمل من هذا النوع، نحتسب به الاجر والثواب من الله عز وجل.

اهداف البحث:

1_ توضيح اهمية الاعجاز البياني واثباته في القران الكريم.

2_ بيان جهود الدكتور عودة الله القيسي واهتمامه بالأعجاز البياني عن طريق مؤلفاته.

3_ الوقوف على اراء الدكتور القيسي في بيانه للنصوص القرآنية وتحليلها وبيان رأيه اضافة الى رأي من سبقه من القدماء والمعاصرين.

4_ توضيح أثر الاعجاز البياني في اثبات صدق القران وعظمته واظهار اكاذيب المشركين وافتراءهم.

الدراسات السابقة:

لا يخفى ان كتب القدماء والمحدثين والمعاصرين انها تناولت الاعجاز البياني وتحدثت عنه لكن فيما يتعلق في هذا الموضوع بالخصوص فلم اجد رسالة علمية او بحث يتناول هذه الدراسة.

منهج الدراسة:

قد نحوت في هذا البحث المنهج التحليلي، والمنهج المقارن وذلك عن طريق بيان اراء الدكتور القيسي، وتحليلها بطريقة علمية وتوضيح مستويات الاعجاز البياني وعرض النصوص القرآنية التي توضح وجه الصورة البيانية ثم اجراء مقارنات بين اراء بعض السابقين من القدماء والمعاصرين ورأي الدكتور القيسي للإحاطة قدر المكان بأوجه الاتفاق والاختلاف بينها.

خطة البحث: تضمنت خطة الدراسة على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة: وتشمل على اسباب اختيار الموضوع واهداف البحث والدراسات السابقة ومنهج الدراسة.

التمهيد: يشتمل على التعريف بالأعجاز البياني وحياة الدكتور القيسي.

المبحث الاول: الرؤية البيانية على المستوى النحوي عند الدكتور القيسي.

المبحث الثاني: الرؤية البيانية على مستوى الآيات المتباعدة عند الدكتور القيسي.

الخاتمة: وتشمل على اهم النتائج

التمهيد:

اولاً: الاعجاز البياني بمعناه اللغوي والاصطلاحي :

- **الاعجاز لغةً:**

قال ابن فارس (ت 395هـ) : " العين، والجيم، والزاي : أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشي ، فالأول عجز عن الشيء يعجز عجزاً، فهو عاجز، أي ضعيف" .[2]

ويقول ابن منظور (ت711ه) في اللسان :"ومعنى الإعجاز الفوت والسبق، يقال: أعجزني فلان أي فاتني"[3].

- **الاعجاز اصطلاحاً:**

عرف القاضي عبد الجبار(315ه) الإعجاز في القرآن بأنه:" أن يكون من المستحيل على الفصحاء السابقين أن يأتوا بمثل ما جاء به القرآن، في المستوى الذي تميز به"[4].

وعرفه الجرجاني (ت471ه) الإعجاز في الكلام قال هو :" أن يؤدى المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق"[5].

واما الدكتور القيسي فقد عرفه :" الاعجاز يعني أن كل ما ورد في القران صحيح صادق لأن الاعجاز كمال والخطأ والكذب نقص والكمال والنقص نقيضان لا يلتقيان، قال تعالى: (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ)[6][7]

- **البيان لغةً:**

وجاء في تاج العروس:" البَيانُ إخْراجُ الشيءِ من حيّزِ الأَشْكالِ إِلَى حيّزِ التَّجَلِّي، وَفِي المَحْصول: البَيانُ إظْهارُ المعْنَى للنَّفْسِ".[8]

- **البيان اصطلاحاً :**

عرفه الجاحظ(255ه) وهو من الاوائل من كتب في البيان :"والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والأفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[9]

وعرفه مصطفى المراغي(ت1371ه):" علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة، مع مطابقة كل منها مقتضى الحال".[10]

- **مصطلح (الاعجاز البياني) بمعناه التركيبي الوصفي**

عرفه الدكتور فهد الرومي :"وهو أبرز وجوه الإعجاز وأظهرها إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا، وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك، فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها".[11]

ثانياً: التعريف بالدكتور عودة الله منيع القيسي :

1-اسمه ومولده ونشأته: هو عودة الله منيع سالم القيسي أديب وناقد لغوي ومتخصص في اعجاز القران أردني الأصل ، ولد في محافظة (الكرك) في الأردن عام 1938/9/17م.[12]

يقول الدكتور القيسي درست إلى الصف السادس في بلدتي ثم درست الصف السابع في بلدة (العراق) في محافظة الكرك، وهي تبعد حوالي عشر كيلووات مترية عن بلدتنا، باتجاه الشمال الشرقي. ثم درست الثامن والتاسع في مدينة المزار، ثم درست العاشر والحادي عشر في مدينة الكرك وكانت دفعتي آخر (المترك) وهي ناحية في محافظة الكرك والطفيلة عام ١٩٥٩-١٩٦٠م.[13]

2-دراسته ومؤهلاته العلمية:

درس الدكتور القيسي(دبلوم سنتين د - بكالوريوس لغة عربية / جامعة دمشق ١٩٦٤م) ثم حصل على شهادة الماجستير في النقد الحديث / جامعة القاهرة ١٩٨٠م. في البحث من معهد الدراسات والبحوث العربية / القاهرة ١٩٧٦م) ثم حصل على الدكتوراه في اللغة العربية / تخصص نقد (عن الإعجاز اللغوي في القرآن ١٩٨٨م).[14]

3-وفاته: ان الأستاذ الدكتور عودة الله منيع القيسي وافاه الأجل يوم الاثنين (21)رمضان 1442هـ، الموافق(2021/5/3م)، في مدينة عمان بالأردن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقيد الراحل بالرحمة والرضوان، وأن يسكنه فراديس الجنان، وأن يرزق أهله الصبر والسلوان إنا لله وإنا إليه راجعون.[15]

المبحث الاول

الرؤية البيانية للأعجاز على المستوى النحوي عند الدكتور القيسي

المستوى النحوي: المستوى النحوي هو أول المستويات اللغوية: "وهو المستوى الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية، مثل نظام جملة (ضرب موسى عيسى) التي تفيد عن طريق وضع الكلمات في نظام معين أن موسى هو ضارب عيسى وعيسى هو المضروب واختلاف الترتيب يؤثر في دلالة الجملة، وان التبس المعنى، كما هو الحال في المثال السابق، تراعي الترتيب المعهود في قواعد النحو: الفعل الفاعل ثم المفعول به تجنبا لأي التباس في المعنى ومن هنا يتضح أن هناك علاقة بين النحو والدلالة، فعلم النحويين دلالة المفردات في التركيب "[16].

ان من أجمل الأساليب وأحسنها ومن الأمور التي زادت من إبداع أسلوب القرآن هو دقته النحوية، حيث كان واضحًا فيها الاتقان والابداع الالهي ومضامين دلالات الألفاظ والمعاني، مما يجعل للنحو دورًا كبيرًا في فهم القرآن الكريم وإعجازه، ومن هنا يتضح البيان في إبراز الإعجاز القرآني من المنظور النحوي وإن الإعجاز البياني على المستوى النحوي في القرآن الكريم يظهر عن طريق مجموعة من الأساليب النحوية التي تم استعمالها بشكل يتماشى مع الخطاب القرآني، وهذه الأساليب، مثل التقديم والتأخير والحذف والمبني للمجهول وغيرها، التي تضفي على النص القرآني جمالاً خاصاً، وتؤكد عنصر الإعجاز فيه ويتجلى الإعجاز القرآني في هذا السياق عن طريق الظواهر الآتية.

1-التقديم والتأخير وتطبيقاته القرآنية:

ويعد التقديم والتأخير من بين أبرز أساليب اللغة العربية التي حظيت بعناية النحاة والبلغاء قديماً وحديثاً، ولقد أشار إليه سيبويه (ت 180هـ) في كتابه (الكتاب) بأكثر من موضع من بينها : " والتقديم هنا والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون أسماً في العناية والاهتمام، مثله فيما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول ، وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير"[17]، فمن ذلك قوله عز وجل: (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[18]

اما عبد القاهر الجرجاني(ت471ه) قال: "القول في التقديم والتأخير هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثم تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان".[19]

وعرفه الزركشي(ت:1393ه) قائلاً: "القول في التقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق وقد اختلف في عدة من المجاز فمنهم من عده منه لأنه تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل كل واحد منهما عن رتبته وحقه والصحيح أنه ليس منه فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع"[20] اذن هو كما قيل في تعريفه:" وهو جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها، لعارض اختصاص، أو أهمية أو ضرورة "[21].

- **تطبيقات قرآنية للمستوى النحوي في التوصل الى الاعجاز البياني عند الدكتور عودة الله القيسي :**

اولاً: قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُون) [22] يرى الدكتور القيسي في بيان هذه الآيات الثلاث ففي الآية الاولى قدم الموت وفي الثانية قدم القتل وفي الثالثة قدم الموت ، بسبب: مجيء الآية الأولى وقد قدم الموت وأخر القتل لأن جملة (ضربوا في الأرض) سبقت جملة (أو كانوا غزى) والضرب في الأرض، هو السعي فيها ويتناسب مع الموت أما الغزو فيتناسب مع القتل لأن الغزو يؤدي الى قتل بعض الغزاة كما يؤدي إلى قتل بعض أعدائهم، وفي الاية الثانية قدم القتل لأنه الحقه بجملة (في سبيل الله) وسبيل الله عز وجل هو الجهاد، والجهاد لا يتناسب مع الموت بالقتل فناسب التقديم والتأخير كلا الموضعين، والرابط بين هذه الحالات الثلاث هي جملة (لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُون)لأن الله تعالى ربط الموت والقتل بهذه الجملة ولا شك أن الأموات أكثر من القتلى يوم القيامة، لأن الذين يموتون بغير قتل في الحياة الدنيا أكثر من الذين يقتلون ولهذا قدم الأكثر، وهذا هو الإعجاز الذي عجز عن مجاراته، فصحاء العرب، مع أن العرب هم أمة الفصاحة والبلاغة[23].

ويرى الدكتور فاضل السامرائي: ان التقديم والتأخير في هذا الموضع تقديم القتل على الموت وعكسه في نفس الموضع: من روائع التقديم والتأخير في بيان القرآن الكريم المعجز ورود آيتين متتابعتين قدم اللفظ في الأولى وأخر اللفظ نفسه في الثانية، وهذه الآيات متعلقة بغزوة (أُحد) تشير إلى الشهداء الذين سقطوا فيها، حيث يُعتبر الموت في سبيل الله أسمى أنواع الموت وأعظمها أجراً عند الله، وقد تم تقديم القتل على الموت، وهذا يختلف عن المعنى في الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله المتعلقة بالموت لجميع الناس وبما أن الموت على الفراش هو الأكثر شيوعاً، حيث يموت معظم الناس حتف انوفهم، فإن الموت هنا يُعتبر الأكثر بينها، الدليل على أن المقصود في الآية الثانية هو توضيح سنة الله للجميع هو عدم اقتران القتل بعبارة (في سبيل الله) كما هو الحال في الآية الأولى هناك فرق كبير بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة الله ومغفرة لذنوبه، كما يؤمن المسلمون، وهذا ما أكدته الآية الأولى، وهذا خاص بالمسلمين وبما أن القتل بشكل عام (للمسلمين وغيرهم) يتضمن ظالمين ومظلومين، يجب أن يكون هناك حكم عدل يفصل بينهم، يوم القيامة، يُنتصف للمظلوم حيث يُجمع الجميع بين يدي الله، سواء كانوا ظالمين أو مظلومين قد يكون القاتل هو المظلوم والمقتول هو الظالم، ولهذا جاء التعبير المعجز في الآية الثانية(لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ) الى حد كبير يتفق الدكتور فاضل السامرائي مع الدكتور القيسي في الاعجاز البياني للآيات الثلاث[24].

فشتان ما بين قتل الشهيد وقتل الانسان العادي فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه كما هي عقيدة المسلمين واليوم ما يحصل لنا من قتل وتنكيل في الرجال والاطفال والنساء من قبل احفاد القردة والخنازير من اليهود ومن عاونهم بسبب تفرقنا وشتاتنا واستغل العدو هذا تحت قاعدة(فرِق تَسُد) فكلما تقربنا وتآلفنا في ما بيننا وتقربنا من الدين قربنا الله وكلما ابتعدنا سلط الله علينا من لا يخاف ولا يرحم.

ثانياً: قال تعالى: (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ)[25]وقال تعالى: (وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ)[26]، قال السمين الحلبي المشهور(بالنحوي) : ((وفي هذه الآية الكريمة نحن نرزقهم وإياكم فقدم المخاطبين وفي الإسراء قدم ضمير الأولاد عليهم، فقال :(نحن نرزقهم وإياكم) فقيل للتفنن في البلاغة ، وأحسن منه أن يقال : الظاهر

من قوله: من إملاق حصول الإملاق للمولد لا توقعه وخشيته فبدئ أولاً بالعدة برزق الآباء ، بشارة لهم بزوال ما هم فيه من الإملاق وأما في آية الثانية فظاهرها أنهم موسرون وإنما يخشون حصول الفقر ، ولذلك قال:(خشية إملاق) وإنما تخشى الأمور المتوقعة ، فبدئ فيها بضمان رزقهم ، فلا معنى لقتلكم إياهم ، فهذه الآية تفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد ، وإن كانوا متلبسين بالفقر ، والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين ، ولكن يخافون وقوع الفقر، وإفادة معنى جديد أولى من ادعاء كون الآيتين بمعنى واحد للتأكيد))[27].

بينا يرى الدكتور القيسي في بيان التقديم والتأخير في هذه الآيات: قال تعالى في الانعام:(نحن نرزقكم وإياهم) وفي الاسراء قال تعالى:(نحن نرزقهم وإياكم) في الأولى قدم تعالى ضمير الآباء وفي الثانية قدم ضمير الأبناء في الآية الأولى قدم تعالى ضمير الآباء لأنهم يتلهفون إلى أن يكون لديهم رزق يعيشون منه، ثم يعيش منه أبناؤهم، اي قدموا أنفسهم لحاجتهم إلى المآكل والمشرب على أبنائهم، لأن الإنسان يُشغل بحاجاته الضرورية أولاً، ثم يشغل بعد بحاجات من ورائه سواء كانوا ابناء أو زوجة أو أقارب، اما في الآية الثانية:(خشية إملاق) فقد قدم الله عز وجل ضمير الابناء، لأن الآباء ليسوا محتاجين ، وإنما هم يخافون الحاجة، وهؤلاء، قطعاً لا يثقون بقدرة الله على رزقهم، ولذلك يريدون أن يتشبثوا بما في أيديهم فلا يستحقون أن يُقدموا على أبنائهم في إعطاء الرزق بل إن تقديم أبنائهم عليهم فيه تأكيد أن الرزق من الله، فقد يرزق الله الفقير وقد يذهب بما في يدي الغني، وقد يرزق الله الأبناء ويذهب بما في أيدي الآباء.[28] فكان التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية في هذه الآيات والنصوص القرآنية في توضيح الاعجاز البياني

ثالثاً: قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)[29] جاءت للتخصيص: هو ان يخصص القرآن لفظاً معيناً ليدل على شيء محدد، فيتم تقديم المفعول به على الفعل ،او الخبر على المبتدأ ،وهذا من الامثلة على ذلك ،حيث تم تقديم المفعول به (اياك)على الفعل(نعبد) وكذلك تم تقديمه على الفعل (نستعين) والاصل في ذلك هو : نعبدك و نستعينك ، ذكر الخالدي نقلاً عن السامرائي، الذي اتفق معه في الرأي، أن سبب تقديم المفعول به (إياك) هو الاختصاص، حيث إن العبادة لا تكون إلا لله، والاستعانة لا تكون إلا بالله. [30]

أما في قوله تعالى: (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) [31]، فقد جاء المفعول به في مكانه الطبيعي بعد الفعل والفاعل، لأن طلب الاختصاص في الهداية غير صحيح، فلا يمكن تخصياص الله بهداية شخص واحد فقط، بل يهدي الله من يشاء من عباده.[32]

اما رأي الدكتور عودة الله القيسي يتفق مع الخالدي والسامرائي ويضيف على الاختصاص: ان الله تعالى هو الحق: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ)[33] والحقّ كمال، والكمال لا نقص فيه، وجملة (نعبدك) ناقصة الدلالة فقدم المفعول به على الفعل ولا تعطي المعنى حقه في النص الذي ذُكرت فيه لأن جملة (نعبدك) تعني أننا يمكننا أن نعبد غيرك معك، وهذا لا يفي بالمقصود أما عبارة (إياك نعبد) فتعني قصر العبادة على المخاطب وهو الله وَحْدَهُ، وهذا هو المعنى المقصود قد يقال: لماذا قال تعالى وقوله الحق: إياك نعبد ولم يقل: نعبدك أو نقول غير هذه العبارة الثانية ان كلام الله عز وجل يتعالى على قولنا : (نعبدك) أو عبارة أخرى من نفس النمط، وهذا ان دل على شيء فهو يدل على الاعجاز الرباني للقرآن الكريم في بيانه للمعاني الدقيقة والألفاظ المختارة لها بعناية[34].

أن أسلوب التقديم والتأخير يعد جزءًا من النظام المعجز في القرآن الكريم، حيث يظهر في النصوص معاني دقيقة تتجلى بطريقة معينة و إن ظهور هذه الظاهرة في القرآن يزيد من إعجازه، مما جعل العرب يعجزون عن الإتيان بمثله.

2- الحذف وتطبيقاته القرآنية:

الحذف لغةً: جاء في الصحاح : " حذف الشيء إسقاطه ، يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت وحذفت رأسه بالسيف، إذا ضربته فقطعت منه قطعة "[35] وقال ابن منظور في الحذف: "حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه "[36] اذن الحذف في اللغةً يدل على القطع والاسقاط.

الحذف اصطلاحاً: هو : " إسقاط كلمة للإجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام" [37]

وعرفه الجرجاني(ت:471ه) في كتابه دلائل الإعجاز: "باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فأنك ترى به ترك الذكر أفبح من الذكر والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وإنما ما يكون بيانا إذا لم تبين "[38]

أما الحذف عند النحويين فيعرف على أنه: "إسقاط عنصر من عناصر الجملة بدليل. "[39]،من هنا يتضح أن الحذف لدى البلاغيين له هدف جمالي بلاغي كما أشار الجرجاني في تعريفه، في حين بالنسبة للنحويين، يقتصر الحذف على حذف عنصر من عناصر الجملة، أي أنه يُنظر إليه من الناحية التركيبية.

فالحذف من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، الذي يُعتبر من الأساليب القرآنية التي ساهمت بشكل كبير في تشكيل الصورة القرآنية فالأصل هو ذكر الكلمات، في حين الحذف يُعد خلاف الأصل، لذا يجب أن يكون هناك حكمة وبلاغة عند حدوث الحذف في الكلام، سنتناول بعض الامثلة القرآنية والجمال والبلاغة التي أوجدها هذا الأسلوب لمظاهر الاعجاز البياني فيها:

أولاً: قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا) [40]

يقول الفخر الرازي(ت606ه) في بيان معنى الآية فِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى:" قرأ نافع وابن كثير حسنة بالرفع على تقديره (كَانَ) التَّامَّةَ، والمعنى: وان حدثت حسنة، او وقعت حسنة، والباقون بِالنَّصب على تقدير (كَانَ) الناقصة والتقديرِ: وان تك زنة الذرة حسنة، وقرأ ابن كثير وابن عامر (يُضَٰعِفۡهَا) بالتشديد من غير ألف من التضعيف والباقون يضاعفها بالألف والتخفيف من المضاعفة، المسألة الثانية: (تَكُ) اصله من كان يكون واصله تكون سقطت الضمة للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون فصار تكن ثم حذفوا النون ايضاً لأنها ساكنة وهي تشبه حروف اللين وحروف اللين اذا وقعت طرفاً سقطت للجزم كقولك: لم ادرِ، اي لا ادري وجاء القران بالحذف والاثبات اما الحذف فههنا اما الاثبات فقوله تعالى: (إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا) "[41][42] .

ويرى الدكتور القيسي في هذه الآية يكون الحذف لسببين :

الأول: وهو أن النون تحذف من الفعل (يكون) المجزوم، بأداة من أدوات الجزم عندما يكثر الكلام الذي تتعلق به، سواء أكان متقدماً عليها أم متأخراً عنها مثال ذلك ما ورد في سورة (مريم) فقد سبق كلمة (أك)أكثر من خمس وعشرين كلمة يتصل سياقها بها، من قوله تعالى :(فأرسلنا إليها روحنا) ومثاله مما كثر سياقه بعدها وكان يتصل بها قوله تعالى: (فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ)[43] فاسم الإشارة يشير إلى قوم سبق الحديث عنهم، ولكن وقع فاصل طويل بينهم وبين(تك) وهو آية كاملة، هي قوله تعالى : (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ) [44] ، فكان اتصال (تَكُ)بما يليها أقوى من اتصالها بما سبقها، هذا السبب يعود الى صورة السياق.

أما السبب الثاني: فيعود الى المعنى، وهو أن الآيات التي ورد فيها (أك) ومثيلاتها جاء التركيز فيها على ما يلي (أل) أو كان المقام يستدعي الإيجاز والإسراع في الفروغ من المعاني أما الآيات التي ورد فيها(أكُن) ومثيلاتها فقد كان التركيز موزعاً بينها وبين ما يليها توزيعاً متساوياً قوله تعالى: (وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا) [45] فالتركيز هنا على فعل الحسنة، وليس على (تَكُ) لأن الحذف قد يشير الى عدم اهمية المحذوف منه، فكأن الحذف يوحي بأن القارئ أو السامع يريد أن يتجاوز موطن الحذف سريعاً إلى غيره، بمعنى إلى ما هو أهم منه التكون، فالتكون هنا مهم أهمية الدعوة إلى الخير، لأن هذه الدعوة لن تتم إلا إذا حصل هذا ويتضح إن حذف النون من هذه الأفعال يعود إلى السببين معاً لا إلى أحدهما، فهما سببان متظاهران.[46]

ثانياً: قال تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) [47]: يرى الزمخشري في كتابه (الكشاف) ان لفظة (خلق) هو فعل متعدٍ، وله عدة أوجه في مفعوله: الأول هو تقدير المفعول به المحذوف بحيث يُراد به خلق كل شيء، مما يشمل جميع المخلوقات، لأنه عام ولا يُفضل بعض المخلوقات على الأخرى في هذا التقدير، والغرض من حذف المفعول هو التعميم مع الاختصار، ومن ذلك قوله تعالى: (الرحمن علم القرآن) أي علم الناس جميعًا، الثاني هو عدم تقدير المفعول، حيث يُعتبر الفعل المتعدي كالفعل اللازم، فيكون معنى (الذي خلق) أي الذي حصل منه الخلق، الثالث هو تقدير المفعول بـ(الإنسان)، أي هو الذي خلق الإنسان[48] .

كما جاء في قوله تعالى: (ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ) [49]

والجرجاني(ت471ه) يتفق مع الزمخشري في هذه الوجوه الا انه يضيف ويقول قيل:(أقر) بحذف الألف، كما تقول: اسْعَ، والظاهر تعلق الباء ب(أقرأ) وتكون للاستعانة، ومفعول اقرأ محذوف، أي اقرأ ما يوحى إليك [50]، فأدى ذلك إلى تمكين المعنى في الذهن مع الإحساس بعذوبة اللفظ وسلاسته.

ويوضح مصطفى عبد السلام الحذف في هذه الآية :" حذف المفعول به في قوله تعالى : (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)[51] فحذف مفعول خلق الله ليتناول كل مخلوق ما تعلم وما لا نعلم والتقدير : خلق كل شيء إذ ليس بعض المخلوقات أولى من بعض".[52]

وان الدكتور عودة الله القيسي يتفق مع من سبقه و وبيانهم لوجوه الحذف في قوله تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)[53] ويضيف في وجه الاعجاز فيقول: ثم إن هذه القراءة ليست قراءة مفتوحة على كل الاتجاهات، وإنما هي قراءة إيمانية، قراءة باسم ربك ومن المعروف أن رسولنا ﷺ قد فهم من كلمة (اقرأ) هذا المعنى السابق للقراءة وحدَهُ عندما أمره جبريل علي ثلاث مرات بالقراءة، وفي كل مرة يقول : ما أنا بقارئ، ولكن عندما قال له جبريل في المرة الرابعة : (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ) لم يعد يقول له : ما أنا بقارئ، لأن وجدانه الشريف أحسن أن القراءة المطلوبة منه ليست قراءة (الحروف) التي تتكون منها كلمات، وإنما هي قراءة كلام الله الذي يبدأ ب(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)[54] ، وان القراءة باسم الله تعني الاعتراف بوجود الله وبالوحدانية وقدرته التي لا تُحَدُّ : (ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ)[55]، وتعني الاعتراف بالعقيدة كما وردت في القرآن : (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ)[56] ثم الاعتراف بالعبادية الله: (مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ) [57] وأخيرا الاعتراف بشرع الله : ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾[58][59] .

ولقد أدرك العرب إعجاز القرآن منذ أن نزلت أول خمس آيات من سورة (العلق)، لقد أحسوا بأن هذه الآيات الخمس مخالفة تمام المخالفة لما ألفوا من منظوم و منثور كالخطب وسجع الكهان وإن شعراءهم الكبار يبدؤون قصائدهم بالغزل وبالأطلال، فأكبر شعرائهم امرؤ القيس* بدأ معلقته الشهيرة بقوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل [60]

إذ دعا صاحبيه أن يقفا عن السير عندما وصل إلى ديار حبيبته الدائرة، لكي يبكوا هذه الديار التي موضعها (سقط اللوى)، وهذا المكان يقع بين مكانين آخرين هما: الدخول وحومل، فأين هذا من قوله تعالى: (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ)[61] لقد افتتح كلامه بالأمر بالقراءة، والحياة لم تتقدم تقدماً هائلاً إلا عن طريق قراءة ما يكتب يأخذه الخلف عن السلف ثم يضيف إليه، ثم يأتي الجيل الثالث فيقرأ ما كتبه الجيلان السابقان ثم يضيف إليه معارفه، وهكذا جيلاً بعد جيل حتى وصلت المعرفة إلى هذا المستوى المتقدم في هذا العصر.[62]

ويتضح في كلمة (اقرأ) دلالة عميقة على أن القراءة تأتي في المقدمة قبل أي شيء آخر فلم يذكر الله في أول كلمة خالدة (صلِّ) أو (زكِ) أو (صم)، مما يدل على أن (اقرأ) هي الأكثر تفضيلاً وذلك لأن من يقرأ القراءة الصحيحة يفهم الفهم الصحيح، وبالتالي يؤدي العبادات وسائر الأعمال بالشكل الصحيح. إذا كان معروفًا أن الحذف في المستويين النحوي والبلاغي يتعلق بكل ما يُنوى، فنحن كبشر يمكن أن تتقارب أفكارنا ومشاعرنا، مما يمكّننا من الوصول إلى المحذوف في كلام الآخرين بسهولة لكن عندما يتعلق الأمر بكلام الله(عز وجل) فلا سبيل لذلك إلا بتوفيقه سبحانه ومن هنا يمكننا تفسير اختلاف العلماء في تقدير المحذوف. لذلك، يمكنني القول إن باب الحذف في القرآن الكريم سيظل مفتوحًا ومليئًا بالجديد لكل باحث في أي زمن، وذلك بقدر توفيق الله له أنت تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، و أنت علام الغيوب.

3- المبني للمجهول وتطبيقاته القرآنية :

وهو الأسلوب الذي يتم عن طريق ه حذف الفاعل، مما يؤدي إلى تحويل الفعل إلى صيغة مختلفة عن تلك التي كان عليها عندما كان الفاعل معروفًا يتم حذف الفاعل إذا كان غير معروف، أو تعظيمًا له، أو خوفًا منه أو عليه. وقد أطلق ابن السراج على الفعل المبني للمجهول اسم "ما لم يُسم فاعله"[63].

في حين استعمل ابن جني مصطلح (بناء الفعل للمفعول)، وسما نائب الفاعل "مفعول أقيم مقام الفاعل"[64]. أما الكرماني، فقد استعمل مصطلح "المبني للمجهول"[65].

وترى الدكتورة(بنت الشاطئ): في المبني للمجهول فأنت تقرأ في علم الصرف كيفية تشكيل الفعل للمجهول وصيغ المطاوعة، وفي علم النحو تتعرف على أحكام نائب الفاعل أما سبب حذف الفاعل وبناء الفعل للمجهول، فهذا موضوع آخر يُدرس في علم المعاني، الذي انفصل عن الإعراب ليصبح الإعراب مجرد صنعة، رغم أنه في الأصل مرتبط بالمعنى، كما أنك تتناول في علم البيان إسناد الفعل إلى غير فاعله بشكل مجازي لكن، لم يحاول أحد من الدارسين، حسب علمي، جمع هذه الظواهر المتفرقة في أسلوب واحد لفهم سرها، الذي يجعل العربية تستغني عن الفاعل وتربطه بغير فاعله، سواء عن طريق البناء للمجهول أو المطاوعة أو الإسناد المجازي، وقد لفت انتباهي تكرار ظاهرة الاستغناء عن الفاعل في البيان القرآني، وهو ما يُعرف بالبناء للمجهول، والذي يظهر بكثرة في آيات القرآن[66].

تطبيقات قرآنية للمستوى النحوي في المبني للمجهول للتوصل الى الاعجاز البياني عند الدكتور القيسي:

اولاً: لفظ _(طبع الله) _(طُبِعَ): ذُكر الفعل الماضي (طَبع) مسنداً الى لفظ الجلالة الله اربع مرات، كقوله تعالى: (بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا) [67]. وذُكر الفعل الماضي المبني للمجهول (طُبع) مرتين مثل قوله تعالى: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ)[68]. فماذا اختلفت الصيغ من موضع لآخر وما هو وجه الاعجاز فيها؟ لقد نظر الزركشي إلى بناء الفعل (طبع) للمجهول في سياقه بما يتناسب مع ما قبله، كما في قوله تعالى: (وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ)[69]،فقد جاء بداية الآية بصيغة البناء للمفعول (أُنزِلَتۡ سُورَةٌ)، مما جعل الختام متناسقًا مع البدء، وجاء الفعل (طبع) أيضًا مبنيًا للمجهول وهذا يختلف عن ما جاء بعده من قوله تعالى: (وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ)[70]، حين لم يكن هناك ما يدعوا للبناء، فجاءت على الأصل ومع أن هذا الغرض واضح، إلا أنه يجب النظر إليه من زاوية أخرى، حيث استُعمل هذا الفعل في بيان الذم وذم الكافرين فقط، ولم يُستعمل مبنيًا للمجهول إلا في موضعين فقط، وقد تم الإشارة إلى ذلك في موضعه من قبل.[71]

ويرى فاضل السامرائي: إن إسناد الطبع إلى الله أشد تمكنا في القلب من بنائه للمجهول، فما أسند إليه صراحة يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه، وعلى هذا فهو يسند الطبع إلى الله في مواطن المبالغة والتأكيد ويبنيه للمجهول فيها هو أقل من ذلك، وذلك واضح في الآيتين المذكورتين وهما قوله: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ)[72] وقوله: (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ)[73]، وبالنظر في السياقين يتضح لنا ذلك، فأن الآخرين أشد ضلالاً وكفرا من الأولين يشير الى ذلك ما ذكره من صفاتهم وأحوالهم، فإنه لم يذكر في الأولين غير انهم يستأذنون الرسول إذا أنزلت سورة تأمر بالإيمان والجهاد وأنهم يقولون: ذرنا نكن من القاعدين وعقب على ذلك بقوله: رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، في حين ذكر من صفات الآخرين ما يدل على شدة كفرهم وضلالهم وغضب الله عليهم ما لم يذكره في الأولين، فناسب ذلك إسناد الطبع إلى الله للدلالة على شدة تمكن الكفر في نفوسهم وقلوبهم بخلاف الآية الأخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه مما حسن بناء الفعل للمجهول أيضاً في الآية الأولى ما قاله فيها: وإذا نزلت سورة ببناء (أنزل) للمجهول، فكما أنه لم يسند الإنزال إلى الله تعالى لم يسند الطبع إليه، فكان بناء الفعل للمجهول في الآية الأولى أنسب وبناؤه للمعلوم في الآية الثانية أنسب، والله أعلم[74].

واما الدكتور القيسي في بيانه للنصوص القرآنية يرى انه: ذُكرت لفظة (طبع) مسندة إلى لفظ (الله) في سورة النساء لسببين : الأول المقابلة في قوله في بدء الآية: (وكُفرهم بآيات الله) فكان جوابها : (بل طبع الله) على قلوبهم، الثاني: أن الله، تعالى أسند الأفعال الراجعة لمشيئته إلى ضمير المتكلم (تاء) ست مرات قبل هذا الفعل (طبع) فكان لزوم حضور لفظ (الجلالة) في ذهن القارئ، والتأكيد أن الضمير في الأفعال السنة السابقة يعود له يستدعيان إيراد لفظ الجلالة الله صريحاً، لأن طول السياق وكثرة الأفعال غير المسندة إلى الاسم الظاهر قد تضعف في الذهن صورة هذا الاسم او تظلل عن الاهتداء إلى أنه هو الفاعل في تلك الأفعال فقال: (بل طبع، الله ،عليها بكفرهم) وفي سورة التوبة جاءت (طبع (الله) مناظرة لقوله تعالى : (كَذَّبوا الله ورسوله) ومناقضة لقوله: (نصحوا لله ورسوله) ثم لأن لفظ الجلالة لم يرد قبل (طبع) مع صيغة أخرى بهذا العدد أي : مع الأغنياء الذين يستأذنون الرسول الكريم لئلا يذهبوا الى القتال كان طبيعياً أن يرد بعدها، ليعرف الفاعل أما (طُبع) فقد ذكرت في سورة (التوبة) انسجاماً مع قوله في الآية السابقة عليها(أُنزل) هذه فعل ماض مبني للمجهول، وتلك فعل ماض مبني للمجهول كذلك يضاف الى ذلك أن الفاعل معروف، لأنه سبق وروده في الآيات الثلاث السابقة فلا خفاء في أن الفعل المبني للمجهول (طبع) مسند في المعنى، الى لفظ (الله) عز وجل[75].

ثانياً: لفظ _(أوحى) _(أُوحي): قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)[76] يرى الدكتور فاضل السامرائي بعد أن أغلق الله الحوار بين نوح وقومه وتحدوه بأن يأتي بما يعدهم إن كان صادقا فيما ادعا به أُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن بك وهم القلة القليلة ،فلن يؤمن احد برسالتك، وقد قال ههنا : (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ) ببناء الفعل للمجهول : (أوحي)، وقال في سورة المؤمنون: (فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ)[77] بالبناء للمعلوم وبيان ذلك لأكثر من وجه : الوجه الاول: أن نوحاً طلب من ربه في سورة المؤمنون ينصره: (قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ)[78] فاستجاب له : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ) فالذي طلب منه النصر استجاب له فجاء بالفاعل (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ)ولم يقل : (فأُوحي) بحذف فاعل والثاني: أنه بعد مجيئ فعل أمر متصل بالإيحاء لم يقل: (أوحي) بالبناء للمجهول ، وإنما يذكر الفاعل مثل: (أوحينا) أو(أوحيت) أو (أوحى ربك) ، قال تعالى : (وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ)[79] وقال: (ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا)[80] وقال : (إِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ)[81] وقال: (وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ)[82] وعندما جاء الامر بعد الإيحاء في آية المؤمنون وهو قوله : أن أصنع الفلك فناسب ذلك قوله : (وَأَوْحَيْنَا)من هذا الوجه[83].

ويرى الدكتور القيسي التحول في هذه الآيات في مستواها النحوي فيقول: جاءت (أوحي) مبنية للمجهول أو مبني على الضم في محل نصب مفعول به، مع أن الفاعل هو الله تعالى يدل على ذلك بعد هذه الآية قوله تعالى: (ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا)[84] فقد انتقل الكلام من الغيبة والبناء للمجهول إلى خطاب نوح عليه السلام ومعرفة المتكلم وهو الله تعالى، وذلك في قوله (بأعيننا) فالضمير (نا) يعود على الله تعالى جاءت (أوحي) مبنية للمجهول لان الله تعالى قد اعلن عن ذاته العلية في بدء هذا القصص، فقال تعالى : (وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ)[85]، فالضمير (نا) في الفعل الماضي (أرسلنا) يعود على الله تعالى. وقوله تعالى السابق: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن لا يستطيع الجزم به إلا الله، عالم الغيب والشهادة، وهذا جزم بعلم الغيب وإنه لواضح من قوله تعالى: (من قومك)أن نوحاً أرسل لقومه وحدَهُمْ كمعظم الأنبياء، ولكن قليلاً منهم ارسلوا إلى اقوام محددين غير أقوامهم: فيونس(عليه السلام) أرسل إلى مئة الف أو يزيدون، بعد أن لفظه الحوت على الشاطئ ولوط (عليه السلام)أرسل إلى قومه في غور الأردن أما الرسول الذي ارسل للناس كافة، فهو رسولنا محمد صلى الله عليه واله وسلم : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا)[86][87].

المبحث الثاني

الرؤية البيانية للأعجاز على مستوى الآيات المتباعدة عند الدكتور القيسي

ان الاعجاز البياني على مستوى الآيات المتباعدة يظهر في الآيات التي تحوي موضوعاً واحداً او قصة واحدة في آيات متفرقة بين السور او السورة الواحدة وهذا ما نسميه بالمتباعد فهي ليست متجاورة وفي بحثنا هذا يمكن ان نطلق عليه بمظاهر التشابه والاختلاف في النصوص القرآنية عند الدكتور عودة الله القيسي فقد تتغير في الآية كلمة من سورة إلى سورة او من قصة الى قصة كما في قصص موسى في سور متعددة في القرآن الكريم والحقيقة أنه لا يوجد اختلاف في القصة وإنما يختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة لأن كل سورة تأتي بجزئيات من القصة نفسها تتناسب مع سياق الآيات في السورة التي تذكر فيها، ولا تختلف في الفحوى والحقيقة، وإذا تأملت هذا التشابه والاختلاف وجدته أمراً مقصوداً في كل جزئية من جزئياته قائماً على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز وكلما تأملت في ذلك

أزدت عجباً وانكشف لك سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم[88]، ولعل من أبرز الأمثلة على هذا التشابه والاختلاف ما جاء في سورتي:

اولاً: قال تعالى في سورة ال عمران : (هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ)[89]، وقال تعالى على لسان زكريا في سورة مريم : (وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)[90] في السورة الأولى قال : (ذرية طيبة)، وفي الثانية قال: (من لدنك ولياً) فجمع وأفرد في آيتين مختلفتين، وأن لفظ الذرية اسم جمع مثل قوم وأمة وقبيلة، فما الداعي للجمع والافراد، يرى الدكتور القيسي ان الداعي: أن زكريا عليه السلام قد جمع في الآية الأولى نظراً لأجابة مريم عندما سألها : (قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)[91] وبذلك سأل ربه ذرية طيبة فالله هو الرزاق ذو القوة المتين الذي يرزق مريم(الطعام) من دون اسباب قادراً على ان يهبه الذرية الصالحة وليس ولداً واحدا، كما أنه لم يكن قد كبر في العمر، وإلا لم يكن الله ليكفله مريم، وانه في سورة (مريم) كان قد شاخ وكبر في السن، ولهذا لم يسأل الله الذرية وانما سأله ولدا واحداً، وبدأ ذلك بمقدمات، تمهد لسؤاله قال تعالى : (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا)[92] وبهذا يكون قد اقر بما عليه من كبر السن ومن العجز، فحلته لا تسمح بأن يطلب ذرية وهو بهذه الحالة بل الحكمة ان لا يطلب ذرية وانما ولداً واحداً الا يطلب إلا ولداً يرثه وخاصة أن امرأته كانت عاقر، ولهذا اكتفى بالقول:(فهب لي من لدنك ولياً)[93].

وقد ينشأ سؤال لماذا قال الذرية وليس أولاداً او أولياء، ويوضحه الدكتور القيسي: انه قال ذرية لأنه تأمل قول زوجة عمران عن وليدتها مريم: (وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ)[94]، لان هذه الآية سبقت قوله ولم يفصل بينهما إلا آية واحدة وفضلاً عن ذلك أن الذي يخطر في عقله ليست (عملية الولادة) ليأتي بلفظ (الأولاد)، وإنما كان تصوره للنسل فقط، أي: الذرية فتناسبت (ذرية) مع (وذريتها)، ولكن لماذا قالت امرأة عمران:(وذريتها) ولم تقل: واولادها، يرى الدكتور القيسي : وذلك لان الذي كان يتخاطر لها ليس (عملية الولادة) وإنما كان النسل، من غير ان تتصور (عملية الولادة) من طفلة في المهد الى سيدة نساء العالمين هي مريم عليها السلام قال تعالى: (وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ)[95] ،ثم قال زكريا في سورة (مريم) قال: (ولياً)، فلماذا ، يرى الدكتور القيسي: أنما هو السياق يقتضي (ولياً) فقد جاء قوله تعالى قبله : (وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)[96] فلفظ (الموالي) اقتضت معها(وليا)، لأنه كان يخاف الذين يعقبونه ويرثونه من غير نسله، فيريد أن وريثه ومن يعقبه من آل يعقوب من صلبه فغيرهم ليسوا مؤتمنين على وراثة الدين والعدل والاستقامة[97]، وقال : (ولياً) دون (مولى) وهو مفرد (الموالي) الداعي لذلك ان زكريا أراد أن يفرّق حتى في اللفظ بين الذي من نسله والذي من غيره ولن يكون التفريق إلا إن يميز في اللفظ بين من سيكون وريثه ومن لا يريد ، مثل جمع عين الإنسان ب(عيون) ومنها (عين الماء) للمشابه بين العينين، ولكن العين بمعنى الرجل رفيع المستوى تجمع على (أعيان) لكي نفرق في الجمع بين عين الماء والإنسان وبين العين، العضو في جسم الانسان لان الإنسان الرفيع المستوى والعين بينهما تشابه معنوي، وبين الإنسان وعين الماء تشابه مادي[98].

ثم لسائل أن يسأل هل ان الدعاءين كانا في موقف واحد أم موقفين؟ يقول الدكتور القيسي:((انهما قيلا في موقفين الأول: وجدان منفعل انفعال شكر بما كانت عليه مريم من أفضال الله عليها بالرزق يدل على ذلك قوله بعد أن شاهد مراراً ما يصل إلى مريم من رزق الله: هناك دعا زكريا ربّه فهنالك تعني أنه دعا ربه وهو في ذلك المكان الذي كانت فيه مريم لأن هنالك

ظرف مكان وقد تعني هنا ظرف المكان، وظرف الزمان معاً، أما الثاني: فقوله في مكان آخر، وهو يتأمل ما هو عليه من ضعف وما عند الله تعالى من القدرة التي تحيل الضعف قوة فتجعل رجلاً عجوزاً مثل زكريا ينجب من زوجته من يرثه ويرث من آل يعقوب دعاءان متشابهان في حالتين نفسيتين مختلفتين متشابهتين ومرحلتين من العمر ولهذا فلا يجوز أن يوضع أحدهما موضع الآخر البتة، وهذا عنصر مهم في الإعجاز اللغوي لأن الكلام الذي تستطيع أن تنقل العبارات المتشابهة فيه، بعضها مكان بعض، إنما هو كلام غير معجز، بل لعله ليس في كلام البشر عالي الطبقة إلا قليلاً، لأن الكلام الجيد هو الذي تأتي فيه العبارة في سياقها ملتحمة به، بحيث لا تفي بمعناها عبارة أخرى مشابهة، وإنما تبدو العبارة الأخرى وفيها شيء من التنافر مع سياق العبارة الأولى وقد لا يتبدى لك الفرق عند النظرة الأولى، ولكنه يتبدى بعد طول التأمل والتدبر أما حثنا الله تعالى على تدبر القرآن، إذ بالتدبر يتبين الإعجاز قال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[99] وقال تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ)[100]))[101].

ثانياً: الإعجاز اللغوي في الاختلاف بين تعابير القرآن المتشابهة في أقوال زكريا عليه السلام قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام في سورة آل عمران: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ)[102] وقال تعالى على لسان زكريا مرة أخرى في سورة مريم: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا)[103] في الآية الاولى قدم زكريا بالضمير على امرأته، وفي الآية الثانية قدم امرأة زكريا ، فما الداعي لذلك يرى الدكتور القيسي: ان ذلك يأتي من جانبين الاول: مجيء الدعاءين في اماكن واوقات مختلفة فالدعاء في الآية الأولى كان زكريا يحس بالعجز والضعف والوهن واحس بقرب اجله فطلب من ربه (ولياً) يرثه ويرث من آل يعقوب، أما الدعاء في الآية الثانية فقد كان قائماً في المحراب يصلي فتحمس الى دعاء ربه أن يرزقه(ولياً) كما يؤتي مريم وما يأتيها من رزق، وثمر في غير أوقات قطفه من بساتين الأرض، لأن رزقها من الله تعالى قال: (قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٧ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ)[104] ولو افترضنا أن الدعاءين لم يكونا في اماكن وازمنه مختلفة، لما كان بينهما اختلاف وتشابه، ولكان دعاءاً واحداً في سياقين مختلفين[105]. وان ورود دعاءين من الفرد مختلفين متشابهين في لأجل شيء واحد في اماكن وازمنه مختلفة ام طبيعي الحصول وهو يقع كثيراً مثلاً، تريد أن تتقدم لمناقشة رسالتك للماجستير فأنت تدعو ، سائلاً الله أن يسهل الأمر مع المشرف وبعد ان اختاروا لك المشرف تسأل الله أن يهدي المشرف ليعينك على اكمال بحثك وليس كالدعاء الاول وأن يهدي المناقشين للتساهل، وأن يسهل عليك بقبول الرسالة والحصول على تقدير كنت تتمناه، وهذه الحالة مثيلة في حالة التحمس التي حدثت لزكريا الذي أثاره ما يأتي مريم من رزق دعا بدعاء، وفي حالة العجز والوهن والضعف: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا)[106] دعا بدعاء مختلف مشابه، فكان هنالك دعاءين وبينهما تشابه واختلاف كما جاء في الآيتين اللتين ذكرناهما في البداية[107].

أما من الجانب الثاني فسببه يرى الدكتور القيسي: أن لفظ المرأة لم يذكر، في السياق المختصر في آل عمران، ولهذا قدم زكريا نفسه على امرأته كما هو اسلوب القران المنتظم او ما يسمى(التغليب اللغوي والعلمي) الذي يُقدم فيه الرجل على المرأة، بل يؤتي فيه بالمذكر وحده أحياناً ويقصد به المذكر والمؤنث معا كالمسلمون على المسلمات والمؤمنون على المؤمنات، وهذه الآية جرت مجرى (الأصل) أما في سورة مريم فقد قدم ذكر امرأته على ذكر نفسه (وكانت امرائي عاقراً وقد بلغني الكبر) يرى الدكتور القيسي ان ذلك حاصل لسببين: الأول: انه سبق وان ذكر امرأته في السياق، قال تعالى:

(وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِن وَرَاوِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا)[108] ، فقدمها على ذكر نفسه ، والثاني: انه قدمها بسبب مرضها العقر صراحة وهو الأهم، في المرة الأولى، في حين ذكر بلوغه الكبر، في المرة الأولى بغير مباشرة فقال : (وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا)[109] ولم يذكره صراحة إلا في المرة الثانية : (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا)، لهذا حسُن ان يورد في المرة الثانية، المذكور في المرة الأولى، صراحة، قبل الذي لم يذكر صراحة إلا في المرة الثانية مما دفع زكريا بسليقته وفطرته أن يقدم العبارة المتماثلة في الحالتين على العبارتين غير المتماثلتين في كلا الحالتين[110].

اما قوله في ال عمران(بلغني الكبر) وقال في سورة مريم وقد بلغت من الكبر عتيا، حيث كان الفاعل في الآية الأولى هو الكبر وفي الثانية كانت تاء المتكلم التي تعود على زكريا، يرى الدكتور القيسي: ان الداعي لورود ذلك أنه في دعائه في آل عمران لم يكن في حالة (حزن) بل كان في حالة (حماسة) فلم يقر بعجزه، وإنما أعاد كبر سنّه بفعل الكبر، فالكبر هو المسؤول عن ضعفه، وعدم قدرته على الإنجاب، أما هو فالأصل فهو رجل نجيب أما في دعائه في سورة مريم كانت حالته توصف بالعجز والنوح قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا)[111]، وفي هذه الحالة يقتضي أن يقول الشخص حقائقه ولا يتجبجب ، ولا يخفي نقائصه المتمثلة في شخص زكريا، في تلك الحين الوهن والضعف وهشاشة العظام، فالحق أن اللوم على زكريا وليس الكبر الذي عاش هذه المدَّة التي أدت إلى الكبر بحلوها ومرها فليس الكبر ادى به إلى العجز والضعف في الحقيقة، لأن الكبر ما هو الا مرحلة من مراحل العمر التي قضاها ولهذا قال في حالة عدم البوح وقد بلغني الكبر فاسند ضعفه إلى الكبر، أما في حالة البوح فقد قال: وقد بلغت من الكبر عتيا فاسند ضعفه إلى حقائق شخصه لزكريا عليه السلام[112].

ثالثاً: لقد سال زكريا ربه تعالى: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ)[113]، و قال: (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا)[114]، وسألت مريم ايضاً: (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)[115] وسألت امرأة ابراهيم عليه السلام: قال تعالى : (وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ٧١قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)[116]، فهل هذا السؤال سؤالاً استنكارياً أم تعجبياً أم للتأكد والاطمئنان ؟ في كلا الحالتين لسؤال زكريا عليه السلام، بعد أن بُشر بأنه وامراته سينجبان غلاماً وهو يحيى، يقول الدكتور القيسي: ((الصحيح عندي أنه سؤال للتأكد والاطمئنان؛ فما كان يمكن لزكريا وقد سأل ربه الولد أن يستنكر أو يتعجب من أمره الله : (إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[117] وإنما هو نتيجة (اللهفة) على الولد، وأنه يريد أن يتأكد ويطمئن أما ترى أنك إذا كان لك قريب في بلاد أجنبية فقال لك أحد الاصدقاء: لقد شاهدت قريبك سليما في مطار فإنك ستقول لشدة لهفتك للتأكد معقول أن يأتي سليم دون أن يخبرنا ماذا قال لك؟ وماذا يلبس ؟ فأنت هنا لست منكراً، وإنما تصبو إلى أن تتأكد وتطمئن. وهكذا زكريا لم ينكر الخبر وإنما أراد أن تطمئن أعماقه لهذا الخبر، لأنه شيخ كبير قد ومن العظم منه، واشتعل راسه شيبا، وامراته عاقر ومثل هذين الزوجين لا ينجبان في العادة، فالإنجاب إعجاز جرت به مشيئة الله تعالى وقدرته))[118].

اما في سؤال مريم في سورة آل عمران: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ)[119] وسؤالها في سورة مريم : (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)[120] فهي لم ترد الانكار ولا التأكد والاطمئنان وإنما أرادت معرفة الكيفية التي يحصل بها الحمل فالسؤال يشير الى حيرتها فهي راضية بقضاء الله ولكنها لم تعرف الكيفية، قال تعالى: (كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[121] اما سؤال امرأة إبراهيم عليه السلام قال تعالى : (وَٱمْرَأَتُهُۥ

قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ)[122] فهي لم تسأل عن الكيفية في طبيعتها كما سألت عنها مريم، لأن الكيفية معلومة لديها، ولكنها تتعجب من ولادة العجوز فهو امر غير مألوف في العادة، فهذه ثلاثة أسئلة: فزكريا سأل ربه ليتثبت ويطمئن، ولا يستبعد أن زكريا سأل ليتلذذ بالجواب الذي يملأه سروراً، إضافة إلى التثبت والاطمئنان، ومريم سألت لمعرفة الكيفية التي يحصل بها الحمل، وامرأة إبراهيم عليه السلام سألت متعجبة من ولادة العجوز وزوجها شيخ كبير في السن وان سؤال امرأة إبراهيم قد أنكرته الملائكة عليها تعجبها قالوا : (قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ)[123][124] يقول الإمام الزمخشري في تفسيره في هذا الصدد :((لأنها كانت في بيت الآيات، ومهبط المعجزات، والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقّر، ولا يزدهيها ما يزدهي النساء الناشئات في غير بيوت النبوة، وأن تُسبّح لله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة - صلوات الله عليهم في قولهم: رحمة الله وبركاته عليكم أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة، ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة، فليست بمكان عجب))[125].

رابعاً: قال تعالى في قصص نوح عليه السلام : (وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)[126] وقال محمد ﷺ وحياً قرآنياً من ربه قريباً مما قال نوح، قال له ربُّهُ : (قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ)[127] يرى الدكتور القيسي: أن نوح عليه السلام قال: ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ لان كلامه كان مباشر لقومه، أما محمد(ﷺ) فكلامه بتوجيه من الله عز وجل أي قل يا محمد هذا القول ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ وقد ذكر توجيه الله تعالى لمحمد بقوله:(قل ثلاثمئة مرة وواحداً وثلاثين) ويمكن ان يكون هذا التفريق راجع الى ان محمد (ﷺ) أُنزل عليه كتاب(القران) وتلقى وحيه باللفظ والمعنى اما نوح عليه السلام فلم ينزل عليه كتاب وانما يتلقى تعاليمه بالمعنى من الله ثم يصوغها بلغته ثم ذكر القرآن قول نوح هذا باللغة العربية، ولهذا جاء كلامه مباشر، وان هذه المتابعة والتوجيه المباشر يمكن ان تكون نوعاً من الخصوصية التي جعلها الله لمحمد خاتم الأنبياء دون سائر الأنبياء[128].

أن الرسولين الكريمين عليهم السلام قالا : ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَان اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ ، أن خزائن الله تعالى وعلم الغيب جُمِعا بقول واحد لأن هذا ما اختص به الله تعالى، أما (الملك) فهو أجنبي عليهما، ولذلك أفرد بقول مستقل بدأ بعبارة (ولا أقول) في حين قال بَعْدَ هاذين التعبيرين : ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ فقد تكرر التعبير ولهذا جاء بعبارة مستقلة (ولا أقول)، وأن محمداً (ﷺ) قال:(وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَك)، أما نوح فقال :(وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) حاذفاً الجار والمجرور وهما (لكم) وهذا يعني زيادة اهتمام رسولنا الكريم (ﷺ) بقومه الذين يخاطبهم، لأن عبارة (لكم) فيها تخصيص للجماعة وتنبيه لهم[129].

وان قول نوح : (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ الله خيرا) يقول الدكتور القيسي: ((ان عبارة اللذين تزدري أعينكم هي عبارة وسط، ثم هي تتضمن (نفيا) غير مباشر ينفي أنهم مُزدرون فعلا، وإنما هم مزدرون في أعينكم أنتم وليس على الحقيقة، لأن أعينكم لا ترى الحق بل إنها مصابة بالعمى دون رؤية الحق أما قال لهم في الآية الثامنة والعشرين السابقة : (قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ)[130] وهذه العبارة تختلف كثيراً عن قولنا : للمزدرين في أعينكم، لأن (المزدرين) اسم، والاسم أدل على الثبات والتصاق الصفة بالموصوف من الفعل، لأن الاسم يوحي بالديمومة أما الفعل فهو محدد بزمن والزمن المرتبط بالإنسان والحيوان كذلك محدود، لأن حياة الفرد أو الجماعة آيلة إلى الزوال، وقوله : (في أعينكم) تختلف عن قولنا : (في أنفسكم) أو في قلوبكم لأن النفس والقلب يعبران عن (جوهر) الإنسان، خلافاً للعين التي تعبر عن الظاهر، أرأيت الفرق الهائل بين

كلام الله المعجز وكلام البشر؟ إن تغيير كلمة أو صياغة ينقلك من النقيض إلى النقيض من الكلام المعجز في سياقه إلى كلام عادي يعالجه البشر))[131].

خامساً: يوضح الدكتور القيسي: الإعجاز في قوله تعالى : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ)[132] وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى: (فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ)[133]، حيث قال في سورة هود: (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) ، ففي الآية ان لفظة العذاب الأولى سُبقت بالفعل (يأتي) لأنه يفيد السرعة وعدم التلبث اما الثانية فقد سبقت بالفعل (يحل) لأن (يَحِلُّ) تفيد التلبث والبقاء، لأنك تقول : حل الرسول ﷺ ضيفاً على أخواله بني النجار، عند هجرته إلى المدينة، فدل الفعل (يحل) على الديمومة مع عذاب الاخرة ودل الفعل(يأتي) على السرعة والزوال مع عذاب الدنيا ، وان الآية الاولى تفيد التراخي لوجود(حتى) في النص اما في الآية الثانية فخلا النص من (حتى) وهذا يدل على السرعة وعدم البطء ويرى الدكتور القيسي: ان ذلك راجع الى امرين الأول: ان قصة الطوفان في سورة هود عدد آياتها اكثر وهي ثلاثاً وعشرين آية، من سورة (المؤمنون) التي عددها آياتها سبع فقط فكثرة الآيات ناسبت التعبير المتراخي وقلة الآيات ناسبت التعبير السريع، اما الامر الثاني: أن الله عندما أمر نوح عليه السلام ان يصنع السفينة جاء بالفعل المضارع (وَيَصْنَعُ الفلك)، الذي يفيد التراخي وطول المدة في سورة هود قال: (وَيَصْنَعُ الفلك)، فناسب هذا التطويل في الصنع التراخي في النص، أما في سورة المؤمنون فقد ذكر الفعل حينها ولم يرده لأنه اراد قوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)، ولهذا ناسب ثني عملية الصنع ثنيه في النص بحيث ذكرت الفاء مع (إذا)، ولم يذكر (حتى) التي تفيد التراخي[134].

وأما لفظة (أمرنا) التي ذكرت في السورتين يرى الدكتور القيسي: انها تفيد ثلاثة معان أولاً: أَمْرَ الله للسماء أن تنهمر بالماء، وللأرض أن تتفجر بالماء وانه لم يأمرها بصيغ الامر المعهودة وانما اخباره بذلك يكفي أما قال تعالى : (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[135] وإن أشياء العالم اجمع من حجر ونبات وانسان (تعقل) أمر الله تعالى وإن كنا نحن البشر لا نفقه او نعرف كيفيته، والا لفقهنا تسبيح الكون له : (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا)[136] والثاني: انها تعني أَمْرَهُ للأرض أن تبلع ماءها وللسماء أن تكف عن الانهمار : (وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي)[137] والثالث: أمره لنوح عليه السلام من كل زوجين اثنين واهله ومن آمن في السفينة : (قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ)[138][139]

أما عبارة ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ) يقول الدكتور القيسي: ((انها تعني أنه أوّل مكان في موقع الطوفان تفجر منه الماء، قبل أن يُفجر الله تعالى الأرض عيوناً، العين الأولى التي انفجرت كانت في التنور، وكان أول الأماكن في ذلك الموقع تفجراً إنما هو التنور، لأن الناس يجعلون التنور في أخفض منطقة، وأخفض منطقة كما يقول علماء الأرض إنما هي أوّل منطقة مرشحة للانفجار بالماء))[140]

وفي (هود) قال تعالى: (أحمل) وفي (المؤمنون) قال: (فَاسْلُكْ) فلماذا استعمل لفظة هنا واستعمل لفظة أخرى، يرى الدكتور القيسي : أن الله تعالى في سورة هود قال : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) وفي سورة (المؤمنون) لم يذكر هذه العبارة، وجدير بالذكر أن جملة (ويصنع) توحي بالجهد والتعب مما كان يحصل لنوح مع قومه ويعاني منه في صنع السفينة إضافة إلى

أنها تشعرك في قلب الحدث، غير أن (الحمل) فيه من المشقة أكثر مما في (السَّلْكِ) مع أن الحمل والسلك كل منهما تعني أن نوحاً (أدخل) ما أمره به ربه في السفينة، والسلك أمر سهل يسير، فناسب الفعل الشاق (احمل) مع الفعل الشاق (ويصنع الفلك) أكثر من الفعل السهل اليسير وان(الحاء) في الفعل (احمل) يوحي صوتها بشدة لا توحي بها (السين) المهموسة في (اسلك) وقوله تعالى: ﴿ مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ يعني ذكراً وأنثى من كل نوع من أنواع الحيوان والنبات، لأن الحياة مبنية على الزوجية. أما قال تعالى : (وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ)[141] وقد قدم حمل الزوجين من كل شيء قبل اهله والذين معه إشارة إلى أهمية تلك الحيوانات والنباتات في الحفاظ على حياة الإنسان البيئة الصالحة، اذ لولاهم لختل التوازن على سطح الأرض فالنباتات مثلاً تعمل توازناً بين الأوكسجين الذي يتنفسه الإنسان وبين الغازات الأخرى ، فهي تفيد في تلطيف الجو وفي كثرة الأمطار، وترجع فائدته لصحة الإنسان[142].

سادساً: قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: (قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)[143] وقال على لسان موسى عليه السلام : (قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)[144] يرى الدكتور القيسي : انه جاء بالشرط بـ (إن) والشرط يفيد أن الجزاء متوقف على حصول فعل الشرط، وهذا يعني أن طلب نوح من ربه أن يغفر له ويرحمه، لم يأتِ مُباشراً وإنما جاء معلقاً بصيغة الشرط، اما في الآية الثانية فطلب موسى المغفرة طلباً مباشراً، ومع أن صيغة الأمر مع لفظ الجلالة تعني الدعاء غير أن الإيحاء المتسرب إلى نفس القارئ أو السامع أن هنالك جرأة في الطلب ، يمكن ان يكون الداعي هو الفرق في الشخصية بين كل منهما، فنوح عليه السلام كان عمره ما يقارب ألف سنة أو اكثر اما قال الله : (فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا)[145] فقد امضى الف سنة الا خمسين عاماً فهذه مدة دعوته فكيف بعمره ولهذا كان دعائه من ربه دعاء الشيخ الوقور الذي يجيد طلب ما يريده بفضل تجربته الطويلة ولا يعجل في الأمر[146] فعند سأله مثلاً عن ابنه: (لماذا لم يُنجِه الله تعالى وهو من أهله؟) لم يطلب ذلك بصيغة السؤال من الله وانما جاء بالصيغة الخبرية الخالية من الانكار فقال :(رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ)[147] أما الآية الثانية فموسى عليه السلام كان شاباً يافعاً في قرابة العشرين من عمره، ولهذا اخذه اندفاع الشباب أما تراه عندما طلب منه الرجل المعونة وكان هذا من شيعته على عدوه لم يتريث وإنما هجم مباشر نحوه فوكزه فقضى عليه ولهذا عندما طلب من ربه المغفرة لم يتريث كنوح عليه السلام، وإنما طلب ذلك مباشرةً بصيغة الامر التي توحي بالجرأة وكذلك عندما توجه الى (مَدۡيَنَ)، هارباً من فرعون وملأه الذين قتل منهم الرجل ، فوجد الامرأتان والرعاة يسقون أغنامهم : (وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ)[148] ولم يذكر في القرآن ان موسى عليه السلام قال غير كلمة(فما خطبكما) فهو لم يسألهما عن أي شيء سأل مباشرة وكذلك ابنتي شعيب عليه السلام اجابته بأجابة كافية شافية ليس فيها مما يدعو للسؤال مرة اخرى (لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ) فهو لم يتريث ولم يتردد ولم يفاوض الرعاة وإنما اسرع مباشرة بغنم المرأتين يسقيها ثم جلس تحت الظل، فلو كان نوحاً مكانه أيسرع بالغنم يسقيها دون أن يتريث ودون أن يفاوض الرعاة، اما انا أرى أنه سيتريث ويفاوض الرعاة[149].

يقول الدكتور القيسي :((لاحظ أن آيتي القصص السابقتين حملت ثلاث لطائف الأولى : أن ابنتي شعيب عليه السلام اعتذرتا عن رعيهما لغنم أبيهما لأنه شيخ كبير، إذ لو كان كهلا قويا لما تكفلتا رعاية الغنم. وفي قولهما:(وأبونا شيخ كبير) لطيفة جداً بل لفتة تستدرُّ الدمع من شؤون العيون، يا لله، كيف تضطر الفتاة بنت الأكرمين وهل أكرم من الأنبياء ؟ أن

ترعى الغنم فتقاسي الحر والبرد ووعثاء الطبيعة من أجل أن توفر كرامة أبيها عن ذل السؤال، ومن أجل أن تعيش مستورة ا تأكل بثدييها كما قال أجدادنا ! الثانية : أنه يباح للمرأة أن تعمل خارج البيت عندما تضطرها الظروف إلى ذلك والظروف التي تضطر المرأة للعمل خارج البيت كثيرة في هذا العصر، حتى اصبحت المرأة (مجبرة) أن تعمل لتعيش من كسبها ولتساعد أبويها أو زوجها واولادها، هذا في الأعم الأغلب. الثالثة: أنه يجب على المرأة أن تبتعد عن الاختلاط مع الرجال ما أمكن، إن ابنتي شعيب كانتا تذودان غنمهما عن الماء حتى يُصدر الرعاء، لأنهما تريان أن تأخير إسقاء غنمهما حتى يُصدر الرعاء أولى من الاختلاط بهؤلاء الرعاء حتى وإن كانوا يسمحون لهما بأن توردا غنمهما معهم بل في مقدمتهم، لأن كرائم النساء تُوجب الا يتصرفن تصرفاً يخدش كرامتهن. ولعل ذلك كان بتوجيه من أبيهما الشيخ الكبير النبي في الوقت نفسه))[150].

فإن هذا القرآن المعجز الذي لا يتناقض أبداً : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا)[151] لا يأتي بقول ثم يخالفه في موطن آخر بقول آخر فآياته كلها تجري في نسق واحد، وكأن القرآن كله سورة واحدة بل آية واحدة لا يتناقض طرفاها ولا تقع فيها كلمة في غير موقعها أو تنبو عن أخواتها او تسد مسدها.

الخاتمة

وفي الختام ان اهم النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث هي:

1. يرى الدكتور القيسي ان وجه الاعجاز البياني هو ابرز وجوه الاعجاز القرآني لأنه يظهر في جميع آيات القرآن الكريم اما الوجوه الاخرى فهي في آيات متعددة مثل الاعجاز الغيبي.
2. ان الالفاظ وان كانت مشتقة من اصل لغوي واحد الا انها وضعت لمعنى خاص بدلالة خاصة.
3. ان الدكتور القيسي قد تعرض للأعجاز البياني بجميع مستوياته النحوي والبلاغي والصرفي والصوتي.
4. ان القول بالترادف في القران الكريم هو مردود لأن الترادف يقع في الكلام البشر فقط لأنه قاصر عن كلام الحق عز وجل.
5. يوضح الدكتور القيسي التقديم والتأخير والحذف والمني للمجهول والتشابه والاختلاف في النص القرآني لحكمة وبلاغة يقتضيها النص القرآني .

الهوامش:

([1]) سورة الاسراء: الآية، 88.
([2]) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس، مادة عجز : 4/232
([3]) لسان العرب : ابن منظور ،ج2817/4.
([4]) ينظر: المغني في ابواب التوحيد والعدل: القاضي عبد الجبار، ص79.
([5]) دلائل الاعجاز :عبد القاهر الجرجاني،64.
([6]) سورة فصلت: الآية،42.
([7]) سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، عودة الله منيع القيسي ،ص326.
([8])تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (، مادة (بين)،ج304/34.
([9])البيان والتبيين: عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ ،ج82/1.
([10])علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» : مصطفى المراغي ،ج207/1.
([11]) دراسات في علوم القرآن الكريم : أ. د. فهد الرومي ،ج282/1.

([12])ينظر : معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، أحمد الجدع ، ج 852/2.
([13])من الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم في الكلمات المتقاربة المعنى المتباعدة المبنى :عودة الله القيسي ،ص191.
([14])ينظر: معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، أحمد الجدع،ج852/2.وينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم : عودة الله القيسي،ص191.
([15])ينظر:رابطة الأدب الإسلامي العالمية /www.adabislami.org .
([16]) التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة :محمود عكاشة،ص13-14.
([17])الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه (ت 180هـ) ،ج56/1 .
([18]) سورة الإخلاص / الآية : 4 .
([19]) دلائل الإعجاز في علم المعاني :عبد القاهر الجرجاني، ص106.
([20]) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ،ج233/3.
([21]) الأكسير في التفسير ، سليمان الطوفي البغدادي، ص 189.
([22]) سورة آل عمران،الاية،156-158.
([23]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم: عودة الله القيسي، ص93 -94.
([24]) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود، ص332.
([25])سورة الانعام: الآية ،151.
([26]) سورة الإسراء: الآية ، ٣١.
([27]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي،ج216/3.
([28]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم: عودة الله القيسي، ص107-108.
([29]) سورة الفاتحة: الاية،5.
([30]) ينظر: اعجاز القرآن البياني: الخالدي،ص262.
([31]) سورة الفاتحة ،الآية ،6.
([32]) ينظر: التعبير القرآني: فاضل السامرائي ، ص49-50 ، وينظر: إعجاز القرآن البياني: الخالدي، ص 263-264.
([33]) سورة الحج: الاية،62.
([34]) ينظر: من الاعجاز اللغوي في القران الكريم, عودة الله القيسي،129.
([35]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري (ت 393هـ): ج4/ 1341.
([36]) لسان العرب: ابن منظور، مادة (حذف)، ج 93/3.
([37]) النكت في إعجاز القرآن للرماني: ص 76.
([38]) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني : ص 172.
([39]) البرهان في علوم القرآن: الزركشي: ص 102.
([40]) سورة النساء: الآية :40.
([41]) سورة النِّسَاءِ: الاية:135.
([42]) مفاتيح الغيب : الفخر الرازي(ت606ه)، ج82/10.
([43]) سورة هود: الآية، 109.
([44]) سورة هود: الآية ،108.
([45]) سورة النساء: الآية ،40.
([46]) ينظر: سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة: عودة الله القيسي، ص110-111.
([47]) سورة العلق :الآية ،1.
([48]) ينظر: الكشاف : الزمخشري،ج775/4-776.
([49]) سورة الرحمن الآية،1-3.
([50]) دلائل الاعجاز :عبد القاهر الجرجاني، ص146. وينظر: البحر المحيط: ابو حيان الاندلسي، ،ج506/10.
([51]) سورة العلق: الآية ،1.
([52]) الحذف البلاغي في القرآن الكريم :مصطفى عبد السلام ،ص64.
([53]) سورة العلق: الآية ،1.
([54]) سورة العلق: الآية ،1.
([55]) سورة الزمر :الآية، 62.
([56]) سورة البقرة : الآية، 285.
([57])سورة الذاريات: الآية،57-58.
([58])سورة المائدة :الآية ،48.
([59])ينظر :الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام : عودة الله القيسي ،ص6-7.
* امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الأكبر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن الحارث بن مرة بن زيد بن كهلان ابن يشجب بن يعرب بن قحطان، شاعر في زمن الجاهلية وصدر الاسلام - قال الأصمعي : وكان يقال لأمرؤ القيس الملك الضليل، ومات بأنقرة من بلاد الروم، ينظر: ديوان امرؤ القيس: امرؤ القيس، ج7/1.
([60]) ديوان امرؤ القيس :امرؤ القيس ،ج8/1.
([61]) سورة العلق: الآية ،1.
([62]) ينظر :الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام : عودة الله القيسي،ص6-7. وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل : الغرناطي الكلبي،ج208/4.
([63]) ينظر: الاصول في النحو : ابن السراج،ج72/1.
([64]) المحتسب : ابن جني ،ص135.
([65]) اسرار التكرار في القران :الكرماني ،ص100.

([66]) ينظر: الاعجاز البياني ومسائل ابن رزيق : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)،ص240.
([67]) سورة النساء:الاية،155.
([68]) سورة التوبة: الاية،87.
([69]) سورة التوبة: الآية،86.
([70]) سورة التوبة: الآية،87.
([71]) ينظر : البرهان في علوم القرآن: الزركشي،ج145/3.
([72]) سورة التوبة: الآية ،87.
([73]) سورة التوبة: الآية،93.
([74]) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل السامرائي،78-79.
([75]) ينظر: سر الاعجاز في تنوع الصيغ المشتقة: عودة الله القيسي،94-95.
([76]) سورة هود: الآية،36.
([77]) سورة المؤمنون : الآية،27.
([78]) سورة المؤمنون: الآية، 26.
([79]) سورة الاعراف: الآية، 117.
([80]) سورة النحل :الآية ،123.
([81]) سورة المائدة : الآية ،111.
([82])سورة النحل : الآية ،68.
([83]) ينظر : على طريق التفسير البياني : فاضل السامرائي،ج143/3-145.
([84])سورة هود: الآية، 37.
([85]) سورة هود : الآية ،25.
([86]) سورة سبأ : الآية،28.
([87]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم: عودة الله القيسي، 163-164.
([88]) ينظر: اسرار البيان القرآني: فاضل السامرائي، ص160. وينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل السامرائي، ص374.
([89]) سورة ال عمران: الآية، 38.
([90]) سورة مريم: الآية، 5.
([91]) السورة السابقة: الآية، 37.
([92]) سورة مريم: الآية، 2-4.
([93]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم: القيسي، ص110.
([94]) سورة ال عمران: الآية، 36.
([95]) السورة نفسها: الآية، 42.
([96]) سورة مريم: الآية، 5.
([97])ينظر: المصدر نفسه: ص110-111.
([98]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم: القيسي، ص111-112.
([99]) سورة النساء: الآية، 82.
([100]) سورة محمد: الآية، 24.
([101]) المصدر نفسه: ص112-113.
([102]) سورة ال عمران: الآية، 40.
([103]) سورة مريم: الآية، 8.
([104]) السورة السابقة: الآية، 37-40.
([105]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم: القيسي، ص116-117.
([106]) سورة مريم: الآية، 4.
([107]) ينظر: المصدر السابق: ص117.
([108]) السورة السابقة: الآية، 5.
([109]) السورة نفسها: الآية، 4.
([110]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم: القيسي، ص117-118.
([111]) سورة مريم: الآية، 4.
([112]) ينظر: المصدر نفسه: القيسي، ص119.
([113]) سورة ال عمران: الآية، 40.
([114]) السورة السابقة: الآية، 8.
([115]) السورة نفسها: الآية، 20.
([116]) سورة هود: الآية، 71-72.
([117])سورة ال عمران: الآية، 47.
([118]) الاعجاز اللغوي في القران الكريم: القيسي، ص120.
([119]) سورة ال عمران: الآية، 47.
([120]) سورة مريم: الآية، 20.
([121]) السورة السابقة: الآية، 47.
([122])سورة هود : الآية، 71-72.

([123])السورة نفسها: الآية، 73.
([124]) ينظر: المصدر نفسه: ص121.
([125]) ينظر: تفسير الكشاف: الزمخشري، ج217/3.
([126]) السورة السابقة: الآية، 31.
([127]) سورة الانعام: الآية، 50.
([128]) ينظر: الاعجاز اللغوي في القران الكريم: القيسي، ص61.
([129]) ينظر: المصدر نفسه: ص62.
([130]) سورة هود: الآية، 28.
([131]) المصدر السابق: ص62-63.
([132]) سورة هود: الآية، 40.
([133]) سورة المؤمنون: الآية، 27.
([134]) ينظر: الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام: القيسي، ص105-106.
([135]) سورة يس: الآية، 82.
([136]) سورة الاسراء: الآية، 44.
([137]) سورة هود: الآية، 44.
([138]) السورة نفسها: الآية، 40.
([139]) ينظر: المصدر نفسه: ص106.
([140]) المصدر نفسه: ص106-107.
([141]) سورة الذاريات: الآية، 49.
([142]) ينظر: المصدر السابق: ص108.
([143]) سورة هود: الآية، 47.
([144]) سورة القصص: الآية، 16.
([145]) سورة العنكبوت: الآية، 14.
([146]) ينظر: الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام: القيسي، ص157-158.
([147]) سورة هود: الآية، 45.
([148]) سورة القصص: الآية، 23-24.
([149]) ينظر: المصدر السابق: ص158.
([150]) الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام: القيسي، ص109.
([151]) سورة النساء: الآية، 82.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولاً/ الكتب العربية:

1.لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، د. تح، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ

2.على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، النشر العلمي جامعة الشارقة، ط1، 1423هـ -2002م.

3.دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 471هـ أو 474هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1424هـ، 2004م.

4. الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): دار المعارف ط3، (د.ت)

5.معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين، أحمد الجدع ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن، ط1، 1421هـ - 2000م.

6.الاعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، عودة الله منيع سالم القيسي ، دار البداية ناشرون وموزعون، ط1، 1432ه-2011م.

7.الاعجاز اللغوي في قصص نوح عليه السلام في القران الكريم ، د. عودة الله منيع سالم القيسي، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان _الاردن ،سنة 1422ه_2001م.

8.البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة - بيروت، 1391ه.

9.الأكسير في التفسير ، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي البغدادي (ت 716هـ)، تحقيق: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط2، (د.ت)

10.الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه (ت 180هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر ، ط3، 1408هـ - 1988م.

11.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، (د.ت)

12.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم السمين الحلبي (ت ٧٥٦ هجرية) ،تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، د/ جاد مخلوف جاد د/ زكريا عبد المجيد النوتي دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤١٤ه- ١٩٩٤م.

13.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر أسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم ، بيروت لبنان ، ط4، 1407هـ - 1987م.

14. مفاتيح الغيب- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط3، 1420 هـ.

15.الحذف البلاغي في القران الكريم ، مصطفى عبد السلام ابو شادي ،مكتبة القران للطبع والنشر والتوزيع، مصر- القاهرة،1412م-1991م.

16.ديوان امرئ القيس ،امرئ القيس ، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار المعارف،ط5، 2014م.

17.المحتسب، أبو الفتح ابن جني، وزارة الأوقاف، (د.ط)، 1999م.

18. الأصول في النحو ، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت،(د،ط)،(د،ت).

19.التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ،ط1، 1416 هـ.

20. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء ت نحو(505هـ)تحقيق: عبد القادر أحمد عطا (ت 1403هـ هـ)مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض: دار الفضيلة.

21. المغني في أبواب العدل والتوحيد ، عبد الجبار بن أحمد الأسد آبادي (ت: ٤١٥ هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، 2012م - 1433 هـ.

22.إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح الخالدي (ت 1443هـ)، دار عمار، عمان - الأردن، طبعة 2000م

23. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، أعده : الأخ أبو عبد المعز ، عضو في ملتقى أهل الحديث.

24.بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، بغداد-مكتبة النهضة،ط1، 1427ه-2006م.

25.التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة : دار النشر للجامعات مصر، ط1، 2005م.

26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، جار الله ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت:538ه)، تحقيق: الشيخ عادل احمد والشيخ علي محمد، مكتبة العبيكان،(د.ط) (د.ت).

27. اسرار البيان القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، بيروت-لبنان، ط2، 1440ه-2019م.

28. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، علي بن نايف الشحود.

29. البحر المحيط في تفسير القران العظيم، ابو حيان محمد بن يوسف بن علي الاندلسي(ت:745ه)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت-لبنان، (د.ط)، سنة 1420ه.

30.التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، مكتبة رشيد الهجري، بغداد- العراق، ط1، 1434ه-2013م.

31. علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، د. تح: ،(د.ط)، (د.ت).

32.سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن، عودة الله منيع القيسي (ت: 1442هـ)، دار البشير للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط1، 1416هـ -1996م.

33.تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ) تحقق: مجموعة من المحققين ،(د،ط)،(د،ت)دار الهداية.

34.البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال- بيروت، (د.ط) 1423 هـ

35.دراسات في علوم القرآن الكريم ، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ط12، 1424هـ - 2003م.

36.النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن على بن عيسى الرماني (ت: 386هـ)، تحقيق: محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام، دار المعرف- مصر،ط2، 1387هـ، 1968م.

37.البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1427هـ - 2006م.

ثانياً/ الروابط الالكترونية:

1.رابطة الأدب الإسلامي العالمية /www.adabislami.org .